

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت ١

رفع السلام عن شيخ الإسلام

أبراهيمية



بقلم

مفتي الإسلام د. الدكتور محمد بن عبد الوهاب

مكتبة النور البخاري للنشر والتوزيع

رفع السلام عن شيخنا المرحوم

أبنته

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت

(١)
رفع السلام عن شيخ الإسلام
أبنتيمية

بقلم
المفكر الإسلامي الدكتور محمد حيدر

مكتبة الأئمة الثلاثة



الطبعة الأولى

١٤٢٨ هـ - ٢٠٠٧ م

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية

٢٥٣١٠ / ٢٩ / ١١ / ٢٠٠٧ م

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر - إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشؤون الفنية

عمارة ، محمد

رفع الملام عن شيخ الإسلام : أحمد بن عبد الحليم بن تيمية / بقلم محمد

عمارة . - الإسماعيلية : مكتبة الإمام البخاري للنشر والتوزيع ، ٢٠٠٧ م .

٨٠ ص ٢٠ : سم

تدمك ٨ ٥١ ٥٢٩١ ٩٧٧

٥٨ و ٩٢٢

١ - الفقهاء

٢ - ابن تيمية ، عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله ، ١٢٣٠ - ١٢٨٤

أ - العنوان

مكتبة الإمام البخاري

للنشر والتوزيع

مصر - الإسماعيلية - ٤٦ شارع جمهورية .. الضواحي .. بدو الشراش

٠٦٤ ٣٣٤٣٧٤٣ - جبروان ١٢٣٦٧٦٧٩٧



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا لَدَيْكَ أَفْعَىٰ عَنِ الدِّينِ أَمِنُوا

مُقَدِّمَةٌ

لأن الشريعة الإسلامية هي الشريعة الإلهية الخاتمة ...
والخالدة .. والعالمية .. كان التجديد فيها سُنَّة من سُنَن الله
التي لا تبديل لها ولا تحويل ..

ذلك أن الشريعة وَضَعَ إلهي ثابت .. وحتى يستجيب
« الثابت » لمستجدات الواقع « المتغير » وقفت هذه الشريعة
عند الثوابت والكليات والقواعد وفلسفة التشريع ... وتركت
للفقه - الذي هو علم الفروع - التجديد في التفاصيل
والجزئيات التي تواكب المستجدات بالأحكام المستمدة من
ثوابت الشريعة وقواعدها وكلياتها . ولهذه الحقيقة - التي
تفردت بها شريعة الإسلام وأمته - كانت سلسلة المجددين
في التاريخ الإسلامي معلماً من معالم هذا التاريخ ..

ولقد كان شيخ الإسلام ابن تيمية واحداً من أبرز الأعلام
المجددين للإسلام .. بل لقد تميز تجديده بالجمع بين العلم
والعمل .. بين الفكر والموقف .. بين اللسان والسنان .. بين
الاجتهاد والجهاد .. فغدى نموذجاً متميزاً - إن لم يكن
منفرداً . منذ عصره ، وحتى العصر الذي نعيش فيه ..

ولذلك لم يكن بدعًا أن يكون لابن تيمية دور ملحوظ في حركة التجديد والإحياء التي شهدتها أمتنا في عصرنا الحديث ..

وفي هذه الدراسة - الموجزة - التي نقدم بين يديها حقائق جديدة تضيء مساحات من فكر ابن تيمية غفل عنها الكثيرون .. بل لا نبالغ إذا قلنا : إن هذه الدراسة - على إيجازها - إنما هي رسالة إنصاف لهذا الإمام العظيم من المتعصبين له والمتعصبين ضده على حد سواء .

وزيادة في الفائدة ألحقت بها رسالة نفيسة من نفائس شيخ الإسلام والتي قال عنها العلامة السيد محمد رشيد رضا رَحِمَهُ اللهُ : « هذه الرسالة من أنفس ما كتبه شيخ الإسلام وأنفعه في التأليف بين أهل القبلة .. » .

والله من وراء القصد .. نسأله العون والتوفيق .. إنه - سبحانه - أفضل مسئول وأكرم مجيب .

دكتور

محمد عمارة

القاهرة : ٢١ ربيع الآخر سنة ١٤٢٨ هـ

٨ مايو سنة ٢٠٠٧ م

طرف من حياة ابن تيمية وآثاره الفكرية :

هو : أبو العباس ، تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن عبد الله بن أبي القاسم الخضر ، النميري الحراني [٦٦١ - ٧٢٨ هـ ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] .

فيلسوف السلفية وحكيمها ، الذي انتقل بها من مرحلة الوقوف عند النصّ وخذه - وأحيانا ظاهر النصّ - إلى مرحلة فلسفة النصّ وعقلنته ..

وهو واحد من أبرز المجددين في عصره ؛ إذ جَمَعَ إلى الاجتهاد ... والجهاد ضد الغزاة - بالفكر والسيف - تقديم « مشروع فكري » لتجديد الفكر الإسلامي والحضارة الإسلامية .

ولو أنّ المشروع التجديدي لابن تيمية قد وُجِدَ « الدولة .. والسياسة » التي تنهض به لتغيّر وجه العالم الإسلامي ووجهته ، ولاختصرت الأمة من عُصور التراجع الحضاريّ عدّة قرون !

ولقد ظلّت لابن تيمية هذه المكانة المتميزة والمرموقة في حركة الإصلاح الإسلامي ، منذ عصره ، وحتى هذه اللحظات .

لقد كان ابن تيمية إمام الناقدين والناقضين للفكر اليوناني - منطقاً وفلسفة - ومن أبرز الذين اجتهدوا لإبداع البديل الإسلامي لفكر اليونان - الذي تسرّب إلى كثير من مناحي الفكر الإسلامي - كما كان من أبرز الناقدين للفكر الباطني الغنوصي ، الذي مثل - مع الفكر اليوناني - جناحي التهديد لتميُّز الوسطية الإسلامية الجامعة .. والمتوازنة ..

وُلِدَ ابن تيمية بحران .. ونَبِغَ واشتهر بدمشق .. وتجلّت آيات نبوغه - في المناظرة والاستدلال والتفسير والإفتاء والتدريس - وهو دُونَ العشرين من عمره .. ولقد كان قلمه ولسانه فرسي رهان في التعبير عن إبداعات عقله الكبير .

وكانت فتاواه - التي خالف في بعضها عددًا من علماء عصره من أسباب محنته ، وميادين جهاده ..

فُسْجِنَ بِمِصْرَ - بالقاهرة .. والإسكندرية - فلما أُطلق سراحه رحل إلى دمشق [سنة ٧١٢ هـ ، سنة ١٣١٢ م] .. ثم أُعيد اعتقاله بها [سنة ٧٢٠ هـ ، سنة ١٣٢٠ م] .. ثم أُطلق سراحه مرة أخرى .. ثم أُعيد اعتقاله إلى أن مات

معتقلاً بقلعة دمشق [٧٢٨ هـ ، ١٣٢٨ م] ..
 ولقد حوّل ابن تيمية سجنه من مَحَنَة لِحريته الشخصية إلى
 نعمة لِسِيَّاحَاتِهِ الفكرية وإبداعاته في علوم الإسلام ..
 وعندما مات ، خرجت دمشق عن بَكْرَة أَيْبِهَا في جنازته ،
 تعبيراً عن مكانته المتميزة والممتازة بين العلماء المجاهدين .
 ولقد خَلَّف ابن تيمية من الآثار الفكرية ما يزيد على أربعة
 آلاف كراسة ، غَطَّت مختلف ميادين العلوم - من الأصول
 .. إلى الفقه .. إلى التفسير .. إلى الحديث .. إلى السياسة
 الشرعية .. إلى الفلسفة والمنطق .. إلى الفتاوى التي عكست
 إمامته لعصره .. وفقهه للواقع الذي عاش فيه .. واستشراقه
 لمستقبل أُمَّتِهِ .. ووعيه بالمخاطر المُخْدِقَة بدار الإسلام -
 وذلك غير الرُّدود الكثيرة التي كتبها على المخالفين ..
 مسلمين وغير مسلمين .

ومن هذه الآثار الفكرية - غير الفتاوى - :

- ١- « الإيمان » .
- ٢- « منهج السُّنَّة النبوية » .
- ٣- « درء تعارض صريح المعقول مع صحيح المنقول » .

- ٤- « الرد على المنطقيين » .
 - ٥- « نقض المنطق » .
 - ٦- « الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان » .
 - ٧- « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أهل الجحيم » .
 - ٨- « الصارم المسلول على شاتم الرسول » .
 - ٩- « رفع الملام عن الأئمة الأعلام » .
 - ١٠- « السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية » .
 - ١١- « نظرية العقد » .
 - ١٢- « التوسل والوسيلة » .
- وعشرات الرسائل التي ردَّ فيها على المخالفين .

جهاده للصليبية والباطنية :

وكما جاهد ابن تيمية بالسيف ضد الاختراق « الصليبي -
 الثَّري » لديار الإسلام ، كذلك كان جهاده - بالقلم واللسان -
 لتحصين العقل المسلم ضد الاختراق الفكري الذي تمثل في
 الباطنية الغنوصية وفي العقلانية اليونانية اللادينية .. وأيضًا ضد
 الجمود والتقليد .. والبدع والخرافات ..
 وعلى امتداد التاريخ - منذ عصره وحتى الآن - كان ولا يزال

واحدًا من أبرز الملهمين لدعوات الإصلاح والتجديد على امتداد عالم الإسلام ..

النظرات الجزئية والمميزة لشرع ابن تيمية التجديدي :

ولقد كانت النظرات الجزئية والمجتزئة لهذا المشروع التجديدي المتكامل الذي أبدعه شيخ الإسلام ابن تيمية ، والتي غفل أصحابها عن رؤية المعالم المتكاملة لهذا المشروع .. كانت وراء سوء الفهم وسوء الظن الذي وُوجه به هذا الإمام العظيم .. سواء من بعض معاصريه .. أو حتى في العصر الذي نعيش نحن فيه ! ..

نعم .. لقد كان ابن تيمية - ومشروعه الفكري التجديدي - ولا يزال في حاجة ماسة إلى « العين الّامة » التي تحيط بمعالمه الكاملة ، والتي تفقهه في ضوء العصر الذي اكتمل فيه ، والتي تميز فيه بين « المنهج » وبين « التطبيقات » ، وبين « الأصول .. الثوابت » وبين « الفروع .. المتغيرة » .. وذلك إنصافاً لهذا الإمام العظيم من الْمُتَعَصِّبِينَ له والمُتَعَصِّبِينَ ضده جميعاً ! ..

وحتى تنقشع السُّحب عن عبقريته الإسلامية فيعود إلى موقعه المناسب من إمامة الصحوة الإسلامية المعاصرة ، مع

غيره من أقرانه ومن تلاميذه الأئمة الأعلام ..
 لقد ارتفعت الكثير من « سحب الأوهام » حول فكر ابن
 تيمية ، فحُجبت - أو كادت - حقائق فكر هذا الإمام
 العظيم .. حتى ظنَّ البعض :

- عُدُّوا للعقل .. وكارثة على العقلانية ! ..
 - وضيق الصدر بالخلاف .. يُكفِّر المخالفين ! ..
 - حتى رأينا - في واقعنا الراهن - من يُسمِّي نفسه
 « فيلسوف العلمانية » ينعت شيخ الإسلام ابن تيمية بأنه إمام
 الرجعية .. وزعيم الإرهابيين !! ..
 نعم .. حَدَّث كل هذا الخلط وشوء الفهم - مع افتراض حُسن
 النية - من غيبة الرؤية المتكاملة لفكر ابن تيمية ومشروعه
 التجديدي ، وفقهه في ضوء العصر الذي عاش فيه ..
 والتحديات التي واجهت العقل المسلم في ذلك التاريخ ..
 ابن تيمية والعقلانية الموهنة :

إن خصوم ابن تيمية لم يفقهوا ما أبدعه في العقلانية
 الإسلامية المتميزة .. وما قدَّمه من « نظرية » متكاملة في
 علاقة التكامل بين المعقول والمنقول .. ذلك الإبداع الذي

مَثَلٌ « ديواناً في العقلانية المؤمنة » .. والذي نشير إلى عنوانه في هذه السطور ، التي يقول فيها :

« إِنَّ ما عُرِفَ بصريح العقل لا يُتَصَوَّرُ أَنْ يُعَارِضَهُ مَنَقُولٌ صحيح قط .. وقد تأملتُ ذلك في عامة ما تنازع الناس فيه فوجدت ما خالف النصوص الصحيحة شبهات فاسدة يُعلم بالعقل بطلانها ، بل يُعلم بالعقل ثبوت نقيضها الموافق للشرع . وهذا تأملته في مسائل الأصول الكبار ، كمسائل التوحيد والصفات ومسائل القدر والنبوات والمعاد وغير ذلك .

ووجدت ما يُعلم بصريح العقل لم يخالفه سمع قط ، بل السمع الذي يُقال إنه يُخالفه إما حديث موضوع أو دلالة ضعيفة فلا يصلح أن يكون دليلاً لو تجرّد عن معارضة العقل الصريح ، فكيف إذا خالفه صريح المعقول ؟

ونحن نعلم أن الرسل لا يخبرون بمحالات العقول ، بل يخبرون بمحارات العقول ، فلا يخبرون بما يعلم العقل انتفاءه ، بل يخبرون بما يعجز العقل عن معرفته^(١) .

(١) ابن تيمية : [بيان موافقه صريح المعقول لصحيح المنقول] ج ١ ص ٨٣ طبعة القاهرة

والقول كلما كان أفسد في الشرع كان أفسد في العقل ،
فالحق لا يتناقض ، والرسل إنما أخبرت بحق ، والله فطر
عباده على معرفة الحق ، والرسل بعثت بتكميل الفطرة لا
بتغيير الفطرة .

قال الله تعالى : ﴿ سَرَّيْهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى
يَبَيِّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ ﴾ [فصلت : ٥٣] . فأخبر أنه سيريهم الآيات
الأفقية والنفسية المبينة لأن القرآن الذي أخبر به عباده حق ،
فتطابق الدلالة البرهانية القرآنية والبرهانية العيانية ، ويتصادق
موجب الشرع المنقول والنظر المعقول .. » (١) .

ابن تيمية ومسألة التحسين والتقبيح :

وكثيرون - من خصوم ابن تيمية ومن أنصاره - يظنون أن
الرجل لم يكن من القائلين بالتحسين والتقبيح العقلين ،
بحسبان أن ذلك هو قول المعتزلة ، الذين وقف ابن تيمية من
بعض آرائهم موقف الناقد . ولو قرأ هؤلاء وهؤلاء ما كتبه ابن
تيمية في التحسين والتقبيح بالعقل لانقشعت عنهم هذه

(١) ابن تيمية [منهاج السنة النبوية] ج ١ ص ٨٢ . طبعة القاهرة سنة ١٣٢١ هـ .

الظنون والأوهام . فلقد كان يرى أن هذا القول هو قول جمهور أهل السُّنَّة والجماعة .. وفي ذلك قال :

« وأكثر الطوائف على إثبات الحُسن والقُبْح العقليين ..

وهذا قول الحنفية ، ونقلوه أيضًا عن أبي حنيفة [٨٠ -

١٥٠ هـ ٦٩٩ - ٧٦٧ م] نفسه ، وهو قول كثير من

المالكية ، والشافعية ، والحنبلية ، كأبي الحسن التميمي

[٣٧١ هـ] وأبي الخطاب ، وغيرهما من أئمة أصحاب

أحمد [١٦٤ - ٢٤١ هـ ٧٨٠ - ٨٥٥ م] وكأبي علي

ابن هريرة [٣٤٥ هـ] وأبي بكر القفال الشاشي [٣٦٥

هـ] وغيرهما من الشافعية . وكذلك من أصحاب مالك

[٩٣ - ١٧٩ هـ ٧١٢ - ٧٩٥ م] وكذلك أهل

الحديث ، كأبي نصر السجزي [٤٤٤ هـ] وأبي القاسم

سعد بن علي الزُّنْجاني [سنة ٤٧١ هـ] وغيرهما .

بل هؤلاء ذكروا أن نفي ذلك هو من البدع التي حدثت

في الإسلام في زمن أبي الحسن الأشعري [٢٦٠ -

٣٢٤ هـ ٨٧٤ - ٩٣٦ م] لما ناظر المعتزلة في القدر

بطريق الجهم بن صفوان [١٢٨ هـ ٧٤٥ م] ونحوه من

أئمة الجبر ، فاحتاج إلى هذا النفي .
 قالوا : وإلا فنفي الحُسن والقُبْح العقليين مُطلقاً لم يَقُلْهُ
 أحدٌ من سلف الأمة ولا أئمتها ، بل ما يؤخذ من كلام
 الأئمة والسلف في تعليل الأحكام وبيان حكمة الله في
 خلقه وأمره ، وبيان ما فيما أمر الله به من الحُسن الذي
 يُعلم بالعقل وما في مناهيه من القُبْح المعلوم بالعقل ،
 يُنافي قول النفاة ..

والحُسن والقُبْح من أفعال العباد يرجع إلى كون الأفعال
 نافعة لهم وضارة لهم ، وهذا مما لا ريب فيه أنه يُعرف
 بالعقل ، ولهذا اختار الرازي [٥٤٤ - ٦٠٦ هـ - ١١٥٠ -
 ١٢١٠ م] في آخر أمره أن الحُسن والقُبْح العقليين ثابتان
 في أفعال العباد . وأما إثبات ذلك في حق الله تعالى فهو
 مبني على معنى محبة الله ورضاه ، وغضبه وسخطه ،
 وفرحه بتوبة التائب ، ونحو ذلك .

وأما العقل ، فأخصُّ صفات العقل عند الإنسان أن يعلم
 الإنسان ما ينفعه ويفعله ، ويعلم ما يضره ويتركه . والمراد
 بالحسن هو النافع ، والمراد بالقُبْح هو الضار . فكيف

يقال : إن عقل الإنسان لا يُمَيِّزُ بين الحسن والقبيح ؟ وهل أعظم تفاضل العقلاء إلا بمعرفة هذا من هذا ؟ بل وجنس الناس يميل إلى من يتصف بالصفات الجميلة ، وينفر عن من يتصف بالقبائح ، فذاك يميل جنس الإنسان إلى سماع كلامه ورؤيته ، وهذا ينفر عن رؤيته وسماع كلامه ..
 إِنَّ العقل يحب الحق ويلتذُّ به ، ويحب الجميل ويلتذُّ به ، وَإِنَّ محبة الحمد والشكر والكرم هي من العقليات .. وَإِن للإنسان قوتين : قوة علمية فهي تحب الحق ، وقوة عملية فهي تحبُّ الجميل ، والجميل هو الحسن ، والقبيح ضده .. « (١) » .

نعم .. هكذا تحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن قدرة العقل على التحسين والتقبيح .. فأزال أوهامًا متراكمة في « عقول » خصومه وأنصاره أجمعين ! .. فهلا أعادوا قراءته ؟! .. وهلا فقهوها عباراته الجميلة والعميقة التي يقول فيها :
 « إن جنس الناس يميل إلى من يتصف بالصفات الجميلة ،

(١) ابن تيمية [كتاب الرد على المنطقيين] ص ٤٢٠ - ٤٢٢ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٣٣ .

وينفر عن يتصف بالقباح .. وإن العقل يحب الحق ويلتذ به ،
ويحب الجميل ويلتذ به .. وإن للإنسان قوتين : قوة علمية فهي
تحب الحق ، وقوة عملية فهي تحب الجميل ، والجميل هو
الحسن ، والقيح ضده .. وهل أعظم تفاضل العقلاء إلا بمعرفة
هذا من هذا ؟ .. فكيف يقال : إن عقل الإنسان لا يميز بين
الحسن والقيح !؟ ..

ابن تيمية رسالة التأويل :

وكثيرون - من خصوم ابن تيمية .. ومن أنصاره - هم الذين
توهموا رفضه للتأويل ، بتعميم وإطلاق .. ولو أنهم فقهوا
موقف الرجل لعلموا موقفه من هذه القضية الشائكة .. وهو
موقف متوازن وموضوعي .. يقول فيه :

« والتأويل المقبول ما دلّ على مراد المتكلم .. فالتأويل إذا لم
يكن مقصوده معرفة مراد المتكلم كان تأويله للفظ بما يحتمله
من حيث الجملة في كلام من تكلم بمثله من العرب هو من باب
التحريف والإلحاد ، لا من باب التفسير وبيان المراد .

وأما تأويل ما أخبر الله به عن نفسه وعن اليوم الآخر فهو
نفس الحقيقة التي أخبر عنها ، وذلك في حق الله هو كنه ذاته

وصفاته التي لا يعلمها غيره .. ولهذا قال السلف : إنا لا نعلم كيفية ما أخبر الله به عن نفسه وإن علمنا تفسيره ومعناه . وكذلك الصحابة والتابعون ، فسرزا جميع القرآن ، وكانوا يقولون : إن العلماء يعلمون تفسيره وما أريد به ، وإن لم يعلموا كيفية ما أخبر به الله عن نفسه ، وكذلك لا يعلمون كيفيات الغيب ، فإن ما أعده الله لأوليائه من النعيم لا عين رآته ولا أذن سمعته ولا خطر على قلب بشر . وأما من قال : إن التأويل الذي هو تفسيره وبيان المراد به لا يعلمه إلا الله ، فهذا ينازعه فيه عامة الصحابة والتابعين الذين فسروا القرآن كله ، وقالوا إنهم يعلمون معناه . والآيات التي ذكر الله فيها أنها متشابهات لا يعلم تأويلها إلا الله ، إنما نفى عن غيره عِلْمَ تأويلها لا عِلْمَ تفسيرها ومعناها .. « (١) » .

ابن تيمية ومسألة التكفير :

وفي قضية التكفير لمن يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

(١) ابن تيمية [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] ج ١ ص ١١٥ - ١٢٠ .

رسول الله - كان ابن تيمية - ككل أئمة أهل السنة والجماعة - شديد الحذر والتحذير من التكفير - على خلاف ما يتوهم الذين لم يفقهوا حقيقة موقف الإسلام من هذه القضية .. التي يتحدث عنها ابن تيمية في حسم ووضوح فيقول :

« والذي نختاره أن لا نُكْفِرُ أحدًا من أهل القبلة ، والدليل عليه أن نقول : المسائل التي اختلف أهل القبلة فيها مثل : أن الله تعالى هو عالم بالعلم أو بالذات ؟ وأنه تعالى هل هو موجد لأفعال العباد أم لا ؟ وأنه هو متحيز ؟ وهل هو في مكان وجهة ؟ وهل هو مرئي أم لا ؟ لا تخلو إما أن تتوقف صحة الدين على معرفة الحق فيها أو لا تتوقف . والأول باطل . إذ لو كانت معرفة هذه الأصول من الدين لكان الواجب على النبي ﷺ أن يطالبهم بهذه المسائل ، ويبحث عن كيفية اعتقادهم فيها ، فلما لم يطالبهم بهذه المسائل ، بل ما جرى حديث من هذه المسائل في زمانه عليه السلام ولا في زمان الصحابة والتابعين رضي الله عنهم ، علمنا أنه لا يتوقف صحة الإسلام على معرفة هذه الأصول ،

وإذا كان كذلك : لم يكن الخطأ في هذه المسائل قادحاً في حقيقة الإسلام ، وذلك يقتضي الامتناع عن تكفير أهل القبلة .

إن الكفر حكم شرعي ، متلقى عن صاحب الشريعة ، والعقل قد يعلم به صواب القول وخطؤه ، وليس كل ما كان خطأ في العقل يكون كفراً في الشرع ، كما أنه ليس كل ما كان صواباً في العقل تجب في الشرع معرفته .. وإنما الكفر يكون بتكذيب الرسول فيما أخبر به أو الامتناع عن متابعتة مع العلم بصدقه .. وقد نقل عن الشافعي [١٥٠ - ٢٠٤ هـ ٧٦٧ - ٨٢٠ م] رضي الله تعالى عنه أنه قال : لا أرد شهادة أهل الأهواء إلا الخطابية^(١) ، فإنهم يعتقدون حلّ الكذب .

أما أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه فقد حكى الحاكم [٣٣٤ هـ ٩٤٥ م] صاحب [المختصر] في كتاب

(١) الخطابية : من غلاة الشيعة ، أتباع أبي الخطاب محمد بن أبي زنب - مولى بني أسد - وهم مشبهة ، ادعوا نبوة الأئمة ، وأنه لا يلد من رسول صامت مع الرسول الناطق ، وأن محمداً ﷺ هو الناطق ، وعلي هو الصامت ، ولقد ثاروا بالكوفة إبان الدولة العباسية ، وقمعت ثورتهم سنة ١٤٣ هـ .

[المنتقى] عن أبي حنيفة أنه لم يكفر أحداً من أهل القبلة .
وحكى أبو بكر الرازي عن الكرخي [٢٦٠ - ٣٤٠ هـ
٨٧٤ - ٩٥٢ م] وغيره مثل ذلك .. ^(١) .

هكذا أعلن ابن تيمية رفضه تكفير أحد من أهل القبلة ،
الذين ينهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، لأن
مسائل الخلاف التي اختلف فيها المسلمون لا يتوقف عليها
الإيمان بأصول الدين ، وأركان الإسلام ، التي جاءت بها
النصوص قطعية الدلالة والثبوت .

وأعلن أن هذا الموقف هو موقف أئمة المذاهب المعتمدة في
فكر الإسلام .

وبعد هذه الإشارات إلى مواقف شيخ الإسلام ابن تيمية ،
وخياراته الفكرية والفقهية ، ندرك الحاجة الماسة إلى إعادة
قراءة تراثه قراءة واعية ومتكاملة ، لا لإنصافه فقط - وتلك
فريضة فكرية - وإنما لإعادة مشروعه التجديدي كي يفعل
فعله المناسب في لحظة الأمة الإسلامية من جديد .

(١) ابن تيمية [بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول] ج ١ ص ٥٠ ، ١٤٤ ، ١٤٥ .

أئمة الصحوة المعاصرة وابن تيمية

ويزيد من أهمية هذه القضية - إنصاف الرجل .. والدعوة إلى الاستفادة من تراثه الفكري - أن أئمة الصحوة الإسلامية وأعلام الإحياء الإسلامي الحديث قد وقفوا هذا الموقف من تراث شيخ الإسلام .

الأمر الذي يدل على أن تراثه الغني قد كان حاضرًا وفاعلًا في فكر هؤلاء الأئمة الأعلام ..

١- الأستاذ الإمام محمد عبد صمد الله :

فالأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] قد دعا إلى إنصاف ابن تيمية من افتراءات خصومه ..

ووصفه بأنه « أعلم الناس بالسُّنة وأشدّهم غيرة على الدين » . وذلك عندما تحدث عن الظلم الذي لحق عددًا من أئمة الإسلام وعلمائه .. من مثل حجة الإسلام الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ، ١٠٥٨ - ١١١١ م] الذي أحرقت كتبه في « غرناطة » في عصر المرابطين [٤٨٣ - ٥٤١ هـ ١٠٩٠ - ١١٤٧ م] .

وشيخ الإسلام ابن تيمية ، الذي قال عنه الأستاذ الإمام : « لقد قال قوم يعدّون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية - وهو أعلم الناس بالسُنّة وأشدّهم غيرة على الدين - : إنه ضال مضل . وجاء على أثر هؤلاء مقلّدون يملئون أفواههم بهذه الشتائم ، وعليهم إثمها وإثم من يقفوه بها إلى يوم القيامة .. » (١) .

٢- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رحمه الله :

أما عن تأثير ابن تيمية في حركة الإصلاح الإسلامي بالمغرب العربي .. فإن الشيخ محمد البشير الإبراهيمي [١٣٠٦ - ١٣٨٥ هـ ١٨٨٩ - ١٩٦٥ م] يشير إليه ، في مواطن عديدة من آثاره الفكرية ..

فيقول عن الأئمة الأعلام الذين ألهموا رواد هذا الإصلاح الإسلامي الحديث ، والذين أناروا الطريق ، في مواجهة الفكر الخرافي المتحالف مع الاستعمار والسحق الحضاري :

« ومازلنا نلمح وراء كل داجية في تاريخ الإسلام نجماً

(١) [الأعمال الكاملة للإمام محمد عبده] ج ٣ ص ٣٥٩ . دراسة وتحقيق : د . محمد عمارة . طبعة دار الشروق - ١٩٩٣ م .

يشرق ، ونسمع بعد كل خففة فيه صوتا يخرق ، من عالم يعيش شاهداً ، ويموت شهيداً ، ويترك بعده ما تتركه الشمس من شفق يهدي السارين المدلجين إلى حين .. وما علمنا فيمن قرأنا أخبارهم ، وتقينا آثارهم من علماء الإسلام مثلاً شروداً في شجاعة النزال بعد الحافظ الربيع بن سالم ، عالم الأندلس .. ولا علمنا فيهم مثلاً في شجاعة الرأي العام أكمل من الإمام أحمد بن تيمية .. فقد شَنَّها حرباً شعواء على البدع والضلالات أقوى ما كانت رسوخاً وشموخاً ، وأكثر أتباعاً وشيوخاً يظاهرها الولاة القاسطون ، ويؤازرها العلماء المتساهلون والمتأولون . وقد ادخر الله لهذا العصر الذي تأذَّن فجر الإسلام فيه بالانبلاج ، الواحد الذي بذَّ الجميع في شجاعة الرأي والفكر وقوة العلم والعقل ، وجراحة اللسان والقلب ، وهو محمد عبده فَهَزَّ النفوس الجامدة ، وحَرَّكَ العقول الراكدة ، وتَرَكَ دويّاً مَلاً سمع الزمان ، وسيكون له شأن .. (١) .

(١) [آثار الإمام محمد البشير الإبراهيمي] ج ٤ ص ١١٣ . جمعها وقدم لها : د. أحمد

طالب الإبراهيمي . طبعة بيروت سنة ١٩٩٧ م .

ثم يُنبّه الشيخ البشير الإبراهيمي - من موقع الرجل الثاني في حركة الإصلاح الإسلامي - بالجزائر - إلى دور فكر شيخ الإسلام ابن تيمية - مع فكر الشيخ محمد عبده - في تبلور بواكير هذا الإصلاح الديني - الذي واجهت به جمعية العلماء المسلمين بالجزائر - تحالف « الطريقة والاستعمار الفرنسي » ، فيقول :

« إنهم : قبل أن يظهر الإصلاح بهذا الوطن ، وتلهج الألسنة باسمه ، كانوا يلعنون ابن تيمية [٦٦١ - ٧٢٨ هـ - ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م] وابن حزم [٣٨٤ - ٤٥٦ هـ - ٩٩٤ - ١٠٦٤ م] ومحمد عبده [١٢٦٦ - ١٣٢٣ هـ - ١٨٤٩ - ١٩٠٥ م] وغيرهم من أئمة الإسلام الذين جهروا بإنكار البدع ، فلما ظهر الإصلاح بالمظهر الفردي كان أمضى سلاح يقاومونه به قولهم : « تيمي ، عبداوي » ! نسبة إلى ابن تيمية ومحمد عبده ! .. » ^(١).

ثم يتحدث عن دور مجلة [المنار] للشيخ محمد رشيد رضا [١٢٨٢ - ١٣٥٤ هـ - ١٨٦٥ - ١٩٣٥ م] وكتب ابن تيمية وابن القيم [٦٩١ - ٧٥١ هـ - ١٢٩٢ - ١٣٥٠ م] والشوكاني [١١٧٣ - ١٢٥٠ هـ - ١٧٦٠ - ١٨٣٤ م] في

(١) المصدر السابق ، ج ١ ص ١٢٧ .

هذا الإصلاح الديني ، فيقول :
 « ويضاف إلى هذا قراءة [المنار] .. وإطلاع بعض
 الناس على كتب المصلحين القيمة ، ككتب ابن تيمية وابن
 القيم والشوكاني .. فهذا عامل له أثره في التمهيد للدعوة
 الإصلاحية »^(١) .

٣- الإمام عبد الحميد بن باديس رحمه الله :

أما رئيس جمعية العلماء المسلمين بالجزائر الإمام
 عبد الحميد بن باديس [١٣٠٨ - ١٣٥٩ هـ - ١٨٨٩ -
 ١٩٤٠ م] فإنه يعيد نشر محاضرة الأستاذ محمد كرد علي
 [١٢٩٢ - ١٣٧٢ هـ - ١٨٧٦ - ١٩٥٣ م] عن الشيخ طاهر
 الجزائري [١٢٦٨ - ١٣٣٨ هـ - ١٨٥٢ - ١٩٢٠ م] ..
 « والذي ولع في صباه بكتب شيخ الإسلام ابن تيمية
 وكانت جمهرة الفقهاء في عصره تكفر ابن تيمية تعصبا
 وتقليدا لمشايخهم ، فلم ير الشيخ طاهر الجزائري لتحبيهم
 بابن تيمية إلا نشر كتبه بينهم من حيث لا يدرون ! ، فكان

(١) المصدر السابق . ج ١ ص ١٨١ .

يستسخ رسائله وكتبه ويرسلها مع من يبيعها في سوق
الوراقين بأثمان معتدلة ، لتسقط في أيدي بعضهم
فيطالعونها ، وبذلك وصل إلى غرضه من نشر آراء .. شيخ
الإسلام التي هي لباب الشريعة ^(١) .

٤- العزارة أبو الأعلى المودودي رحمه الله :

وكما رأت الدعوة الإصلاحية - ببلاد المغرب الإسلامي -
في فكر شيخ الإسلام ابن تيمية « لباب الشريعة الإسلامية » ..
كذلك رأت فيه حركة الصحوة الإسلامية ببلاد المشرق
الإسلامي - في القارة الهندية - أبرز المجددين في التاريخ
الوسيط لأمة الإسلام .

ففي دراسة العلامة أبي الأعلى المودودي [١٣٢١ - ١٣٩٩ هـ
١٩٠٣ - ١٩٧٩ م] لتاريخ تجديد الدين الإسلامي وإحيائه ..
عرض لمشاريع التجديد وإنجازات المجددين .. وأجرى دراسة
نقدية - ومقارنة - بين هؤلاء المجددين .. وفي دراسته المقارنة
بين حجة الإسلام أبي حامد الغزالي [٤٥٠ - ٥٠٥ هـ ١٠٥٨ -

(١) [ابن باديس : حياته وآثاره] ج ٤ ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، جمعها وقدم لها : د. عمار

الطالبي . طبعة الجزائر سنة ١٣٨٨ هـ ١٩٦٨ م .

١١١١ م] وبين شيخ الإسلام ابن تيمية ، رجح المودودي كفة شيخ الإسلام على كفة حجة الإسلام .. وكتب يقول :
 « لقد تخللت عمل الغزالي التجديدي - مع عظمتها التي أكسبتها صفة « حجة الإسلام » - نقائص من الجهة العلمية والفكرية ، تقسم على ثلاثة أنواع :

نوع منها كان مأتاه ضعف الإمام في علم الحديث .
 والنوع الثاني : كان منشؤه استيلاء العلوم العقلية على ذهنه .
 والنوع الثالث : وقع في أعماله لِمَيَلَانِهِ المتطرف إلى التصوف .. » .

وبعد هذا النقد لمشروع الغزالي التجديدي ، تحدّث المودودي عن مشروع ابن تيمية لتجديد الدين وإحيائه ، فرآه « قد وفق في توسيع دائرة العمل الذي تتركه الإمام الغزالي إلى وجه أحسن وأتم .. فهو :

أولاً : انتقد المنطق والفلسفة اليونانية انتقاداً أشدّ وأدقّ مما فعله الإمام الغزالي ..

وثانياً : أقام من الأدلة والبراهين على استقامة عقائد الإسلام وأحكامه وقوانينه ما كان يفوق أدلة الإمام الغزالي

سَوَّغَانَا فِي الْعَقْلِ وَأَحْوَى مِنْهَا لِرُوحِ الْإِسْلَامِ .
 وثالثاً : لم يجتزئ برفع النكير على التقليد الجامد
 فحسب بل ضرب المثل بمزاولة الاجتهاد على طريقة
 المجتهدين من القرون الأولى .
 رابعاً : جاهد البدع وتقاليد الشرك وضلال العقائد
 والأخلاق جهاداً قوياً عنيفاً ، ولاقى في سبيل ذلك أعظم
 المصائب . ومضافاً إلى هذا العمل التجديدي ، جاهد
 بالسيف همجية التار ووحشيتهم .. » .

ولا ينسى المودودي - مع هذا الإعجاب بشيخ الإسلام ابن
 تيمية - أن ينبه على الثغرة التي أضعفت مشروعه التجديدي ..
 وهي افتقاره إلى « السلطة السياسية » التي تضعه في الممارسة
 والتطبيق .. فابن تيمية - برأي المودودي - « لم يوفق لبعث
 حركة سياسية في المسلمين ، يحدث بها الانقلاب في نظام
 الحكم ، وتنتقل مقاليد الحكم والسلطة من أيدي الجاهلية إلى
 أيدي الإسلام » !!^(١) .

(١) أبو الأعلى المودودي [موجز تاريخ إحياء الدين وتجديده] ص ٧٣ ، ٧٦ ، ٧٩ .

ترجمة : محمد كاظم مينا . طبعة بيروت سنة ١٣٩٥ هـ ١٩٧٥ م .

ابن تيمية إمام دعوات الاستنارة في عصرنا الحديث

هكذا ، غدا المشروع التجديدي لشيخ الإسلام ابن تيمية عاملاً فاعلاً في حركة الإحياء والإصلاح والتجديد الإسلامي في عصرنا الحديث وواقعنا المعاصر .. سواء منها « الإصلاح الفكري » أو « الإصلاح الحركي » .. ولقد استوت في ذلك سائر بلاد الإسلام .. من محمد عبده ، مهندس المشروع الإحيائي لليقظة الإسلامية الحديثة . إلى رشيد رضا ، الذي حمل [المنار] فكر هذه اليقظة إلى مختلف بقاع العالم الإسلامي على امتداد نحو أربعين عاما ..

إلى أئمة الإصلاح الإسلامي ببلاد المغرب الإسلامي :
الشيخ عبد الحميد بن باديس .. والشيخ محمد البشير
الإبراهيمي ..

إلى شبه القارة الهندية - بمشرق العالم الإسلامي - عند
العلامة المودودي .. ومن قبله ولي الله الدهلوي [١١١٠ -
١١٧٦ هـ ١٦٩٩ - ١٧٦٢ م] .

هكذا رأينا الرجل الذي مات مظلوماً مسجوناً قد غرس في
ساحة العقل الإسلامي بذور الكلمات « الواعية - الطيبة » التي

بارك الله فيها ، فعدت المظلة التي يستظل بها زعماء الإصلاح الديني على امتداد عالم الإسلام ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكْلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْآثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ [إبراهيم : ٢٤] .

لقد مثل ابن تيمية هذا الصرح الخالد في تاريخ الفكر الإسلامي .. وجسد هذا العطاء المتجدد في مناهج الإحياء والتجديد لفكر هذه الأمة ، لأسباب كثيرة .. منها :

١- إخلاصه للإسلام وأمته وحضارته ودياره .. وتكريس

كل حياته وجميع طاقاته لهذه الرسالة العظمي ..

حتى لقد غدا - في هذا الميدان - علماً من أعلام العلماء الذين هم ورثة الأنبياء .. العلماء العدول ، الذين ينفون - بالوسطية الإسلامية الجامعة - عن هذا الدين « تحريف الضالين وانتحال المبطلين » ..

٢- واحتضانه تراث الإسلام ، على اختلاف مذاهب أئمة

الإسلام .. دونما تعصب لمذهب دون الآخر ، أو تخندق في فرقة دون سواها .. فلقد كان مدافعاً عن الحق - كما أراه

ذلك اجتهاده - وناقداً للخطأ - كما أراه ذلك ، اجتهاده .. مع الدعوة إلى (رفع الملام عن الأئمة الأعلام) الذين خالف اجتهاده اجتهاداتهم .. فكان هذا العنوان الذي اتخذه لأحد كتبه منهاجاً في تعامله مع الأئمة الذين تركوا بصماتهم على الفكر الإسلامي ، على امتداد تاريخ الإسلام ، وتنوع المذاهب التي ذهب إليها هؤلاء الأئمة الأعلام .

٣- وبلوغه - على درب الإخلاص لمشروعه التجديدي - إلى درجة « الجهاد » لتحقيق « الاجتهاد » ! .. فلم يكن ابن تيمية مجرد فقيه .. وفيلسوف .. وإنما كان « مُجَدِّداً » لفكر الأمة وحياتها وواقعها الذي تعيش فيه .. وفي هذا الميدان قدّم حياته وحيثته قرباناً في هذا « الجهاد » .

٤- كذلك ، كان شيخ الإسلام ابن تيمية مرابطاً على ثغور الإسلام .. لا يكتفي بالجهاد الداخلي - في عقل الأمة وواقعها - وإنما كان شديد البصر والبصيرة بالمخاطر الخارجية التي تحدق بحضارة الإسلام وديار الإسلام .. وفي هذا الميدان كان شديد الوعي « بفقهِ الأولويات » ، حتى لقد حمل السلاح وحارب الصليبيين والتتار تحت قيادة النظم

السياسية التي مات في سجونها !! .. فضرب لنا مثلاً في الوعي الحضاري بفقهِ الأولويات لازلنا في حاجة إلى فقهِه حتى هذه اللحظات .

وإذا كانت الدراسات التي كتبت عن ابن تيمية - فضلاً عن تراثه الفكري - إنما تكون مكتبة غنية متكاملة في فكرنا الإسلامي .. فإن ما أشارت إليه هذه الصفحات من مواقفه - التي غفل عن حقيقتها الكثيرون من خصومه ومن أنصاره - وخاصة موقفه من العقل وعلاقته بالوحي والشرع والنقل .. وموقفه من التأويل .. ورفضه القاطع لتكفير من يشهد أن لا إله إلا الله محمد رسول الله .. وكذلك حضوره في دعوات الإحياء الإسلامي الحديثة وعند حركات هذا الإحياء .. إنما تمثل نماذج لميادين تحتاج إلى دراسات وفقه ووعي بما قدم ابن تيمية في هذه الميادين .

إن هذا الإمام العظيم ، الذي مثَّلَتْ سَالَفِيَّتُهُ أَصَالَةَ الْفِكْرِ الإسلامي ، هو ذاته الذي غدا إماماً لدعوات العقلانية والاستنارة في عصرنا الحديث .. ولذلك ، كان حراماً - وإجراماً - أن يقول عنه ذلك الذي يُسمَّى نفسه « فيلسوف العلمانية » : « إنه مصدر الرجعية وزعيم الإرهاب » ! ..

وأن تقول عنه طريقة صوفية تَمَلَأُ بطونَها بِسُحُوتِ الدنانير
 النفطية : إنه الخبيث المكابر ناقص العقل .. الذي في قلبه
 مرض .. المكذب لرب العالمين .. الخارج من الدين ، الذي
 استبدل عقيدة التثليث بعقيدة التوحيد « !! ..
 حرام أن يقال هذا الفحش على هذا الشيخ من شيوخ
 الإسلام !!

تلك صفحات أردنا بها رفع الملام عن شيخ الإسلام
 ابن تيمية .. والدعوة إلى فقه جديد لتراث هذا الإمام
 العظيم .. ليعود هذا التراث إلى الفعل والتأثير في حياتنا
 الفكرية المعاصرة .. كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت
 وفرعها في السماء .

والله نسأل أن ينفع بهذه الدراسة .. إنه - سبحانه - خير
 مسئول وأكرم مجيب .

دكتور

محمد عمارة

الشارح ٣١٤٤ ج ١ جمع كلمة المسلمين السنة والجماعة ٢٨١

جمع كلمة المسلمين

قاعدة أهل السنة والجماعة

(في رحمة أهل البدع والملاحية ومشاركتهم في صلاة الجماعة واتقاء تكفيرهم)
للإمام شيخ الإسلام، وعلم الأعلام، تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

أول الله تعالى وتقدس (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتوا
إلا وأنتم مسلمون) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا، وإذا كروا فمعه الله
عليكم إذ كنتم أعداء فأثاب الله لنبيه محمد وآل أبيه، وكنتم على شفا
حفرة من النار فأأنقذكم منها، كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون، ولتكن
منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم
المفلحون، ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك
لهم عذاب عظيم، يوم تبيض وجوه وتسود وجوه، قال ابن عباس وغيره: تبيض
وجوه أهل السنة والجماعة وتسود وجوه أهل البدع والفرقة (فأما الذين أسودت
وجوههم، كفرتم بعد ما أنتم قد فوجئتم بالعذاب بما كنتم تكفرون، وأما الذين أبيضت
وجوههم، في رحمة الله هم فيها خالدون)

وفي الترمذي عن أبي أمامة الباهلي عن النبي ﷺ في الخوارج: أنهم
كلاب أهل النار، وقرأ هذه الآية (يوم تبيض وجوه وتسود وجوه) قال
الإمام أحمد: صح الحديث في الخوارج من عشرة أوجه، وقد خرجها مسلم في
صحيحه، وخرج البخاري طائفة منها، قال الذهبي رحمه الله: يحقر أحدكم صلاته مع
صلاتهم، وصيامه مع صيامهم، وقرأاته مع قراءاتهم، يقرءون القرآن لا يجاوز
حناجرهم، يرفقون من الإسلام كما يرفق السهم من الرمية — وفي رواية — يقتلون
أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان

صورة الصفحة الأولى من مطبوعة رشيد رضا

المنازع ٣١٤ قبول توبة من سب الصحابة وشروط التوبة ٢٨٩

أبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، وعبد الله بن سعد بن أبي مروح، وكان قد ارتد وكان يكذب على النبي ﷺ ويقول: أنا كنت أعلمه القرآن، ثم تاب وأسلم وبايعه النبي ﷺ على ذلك

وأذا قيل: سب الصحابة حق لا دعي. قيل: السحل لسبهم كالأضي يعتد ذلك ديناً، كما يعتد الكافر سب النبي ﷺ ديناً. فإذا تاب وصار يحبهم ويؤلفهم عليهم ويدعو لهم بما الله سبحانه بالحنان.

ومن ظلم إنساناً فذهبه أو اغتابه أو شتمه ثم تاب قبل الله توبته. لكن إن عرف المظلوم مكانه من أخذ حقه، وإن قدفه أو اغتابه ولم يبلغه فيه قولان للعلماء هما: وإيتان عن أحمد: أصحها أنه لا بد له أني اغتبتك وقد قيل بل يحسن إليه غيبته كما أسأله في غيبته. كما قال الحسن البصري: كفاية الغيبة أن تستغفر لمن اغتبه. فإذا كان الرجل قد سب الصحابة أو غير الصحابة وتاب فاته بحسن اليوم بالدعاء لهم واشتاء عليهم بقدر ما أسأ. والحنان يذهبن السيئات. كما أن الكافر الذي كان يسب النبي ﷺ ويقول أنه كذاب إذا تاب وشهد أن محمداً رسول الله الصادق الصدوق وصار يحبه ويؤلف عليه ويصلي عليه كانت حسناته ماحية لسيئاته والله تعالى (يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات ويعلم ما تعملون) وقد قال تعالى (هم) تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب ذي الطول لا إله إلا هو إليه المصير)

هذا آخر كلام شيخ الإسلام ابن تيمية، قدس الله روحه ونفثنا والمسلمين بصلوهم [المنازع] هذه الرسالة من أنفس ما كتبه شيخ الإسلام وأنته في التأليف بين أهل القبلة الذين فرق الشيطان بينهم أهواء البدع وعصبية المذاهب، على كونه أقوى أنصار السنة برهاناً، وأبلغ المنفذين للبدع قفاً ولساناً، ومنهاجه في الرد على البتة: بيان الحق بالأدلة وحكم ما خالفه من شرك وكفر وبدعة، مع عدم الجزم بتكفير شخص معين له شبهة تأويل، فضلاً عن تكفير فرقة تقيم أركان الدين. جزاء الله أفضل الجزاء على إرشاده ونصحه للمسلمين.

(المبارج ٤) (٣٧) (المجلد الحادي والثلاثون)

صورة الصفحة الأخيرة من مطبوعة رشيد رضا

جَمْعُ كَلِمَةِ الْمُسْلِمِينَ
 قَلِيلٌ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمْعُ
 فَرَجَتْ أَهْلُ النَّكْرِ وَالْمُعَاصِي وَمُشَارِكُهُمْ
 فِي ضَلَالَةِ الْبُغْيَةِ وَاتِّقَاءُ تَكْفِيرِهِمْ

الْقَارِئُ شَيْخُ الْأَشَارِ وَمَوْلَا الْأَبَامِ
 قَلِيلٌ أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمْعُ

هذه الرسالة من أنفس ما كتبه شيخ الإسلام وأنفعه في
التأليف بين أهل القبلة الذين تفرق الشيطان بينهم
بأصواء البع وعضيمات المناصب ، على كونه أقوى أنصار
السنة برهاناً ، وأبلغ المفسدين للبع قلماً ولساناً ، ومنهاجه
في الرد على المبدعة : بيان الحق بالدولة ، وحكم ما خالفه من
شرك وكفر وبدعة ، مع عدم الجزم بتكفير شخص معين له شبهة
تأويل ، فصلاً عن تكفير فرقة تقيم أحكام الدين ، فجزاه الله
أفضل الجزاء على إشارته ونصحه للمسلمين .

محمد شبيب رضا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- قَالَ اللَّهُ تَعَالَى وَتَقَدَّسَ : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ * وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ ءَايَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ ﴾ [آل عمران : ١٠٢ - ١٠٦] .

٢- قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ : « تَبْيَضُّ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ وَتَسْوَدُّ وُجُوهُ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالْفِرْقَةِ » .

(١) اعتمدنا على المطبوعة التي نشرها السيد رشيد رضا رَحِمَهُ اللَّهُ فِي « مجلة المنار » ج ٤ / مجلد ٣١ ص (٢٨١ - ٢٨٩) . وقمنا بضبط النص وتقسيمه لفقرات .

٣- ﴿ فَأَمَّا الَّذِينَ أَسْوَدَتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿ [آل عمران : ١٠٦ - ١٠٧] .

٤- وَفِي التَّزْمِيدِ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِي الْخَوَارِجِ أَنَّهُمْ كِلَابُ أَهْلِ النَّارِ ؛ وَقَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿ وَفِي يَوْمٍ تَبْيَضُ وُجُوهٌُ وَتَسْوَدُ وُجُوهٌُ ﴾ [آل عمران : ١٠٦] .

٥- قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ : « صَحَّ الْحَدِيثُ فِي « الْخَوَارِجِ » مِنْ عَشْرَةِ أَوْجِهٍ » ، وَقَدْ خَرَّجَهَا مُسْلِمٌ فِي « صَحِيحِهِ » وَخَرَّجَ الْبُخَارِيُّ طَائِفَةً مِنْهَا .

٦- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « يُحَقِّرُ أَحَدُكُمْ صَلَاتَهُ مَعَ صَلَاتِهِمْ ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ ، وَقِرَاءَتَهُ مَعَ قِرَاءَتِهِمْ ، يَمْرُقُونَ الْقُرْآنَ ، لَا يُجَاوِزُ حَتَّاجِرَهُمْ ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَةِ » . وَفِي رِوَايَةٍ : « يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ ، وَيَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْتَانِ » .

٧- وَ « الْخَوَارِجُ » : هُمْ أَوَّلُ مَنْ كَفَرَ الْمُسْلِمِينَ . يُكْفَرُونَ

بِالذُّنُوبِ ، وَيُكْفَرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِي بِدْعَتِهِمْ ،
وَيَسْتَحِلُّونَ دَمَهُ وَمَالَهُ . وَهَذِهِ حَالُ أَهْلِ الْبِدْعِ ؛
يَتَّبِعُونَ بِدْعَةً وَيُكْفَرُونَ مَنْ خَالَفَهُمْ فِيهَا .

٨- و « أَهْلُ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ » : يَتَّبِعُونَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ ،
وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ، فَيَتَّبِعُونَ الْحَقَّ ، وَيَرْحَمُونَ الْخَلْقَ .

٩- وَأَوَّلُ بِدْعَةٍ حَدَّثَتْ فِي الْإِسْلَامِ : بِدْعَةُ « الْخَوَارِجِ »
وَالشَّيْعَةِ ؛ حَدَّثْنَا فِي أَثْنَاءِ خِلَافَةِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ
عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فَعَاقَبَ الطَّائِفَتَيْنِ .

١٠- أَمَّا « الْخَوَارِجُ » : فَقَاتَلُوهُ فَقَتَلَهُمْ .

١١- وَأَمَّا « الشَّيْعَةُ » : فَحَرَّقَ غَالِيَتَهُمْ بِالنَّارِ ، وَطَلَبَ قَتْلَ
عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سَبَأٍ ، فَهَرَبَ مِنْهُ ، وَأَمَرَ بِجُلْدِ مَنْ يُفْضِلُهُ عَلَى
أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ .

١٢- وَرَوَى عَنْهُ مِنْ وُجُوهِ كَثِيرَةٍ أَنَّهُ قَالَ : « خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا
أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ » ، وَرَوَاهُ عَنْهُ الْبُخَارِيُّ فِي « صَحِيحِهِ » .

فصل

١٣- وَمِنْ أَصُولِ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ : أَنَّهُمْ يُصَلُّونَ :
 « الْجُمُعَ » وَ « الْأَعْيَادَ » ، وَ « الْجَمَاعَاتِ » . لَا يَدْعُونَ
 « الْجُمُعَةَ » ، وَ « الْجَمَاعَةَ » ، كَمَا فَعَلَ أَهْلُ الْبِدْعِ مِنْ
 « الرَّافِضَةِ » وَغَيْرِهِمْ .

١٤- فَإِنْ كَانَ الْإِمَامُ مَسْتَوْراً لَمْ يَظْهَرْ مِنْهُ بِدْعَةٌ وَلَا فُجُورٌ صَلَّي
 خَلْفَهُ « الْجُمُعَةَ » وَ « الْجَمَاعَةَ » ، بِاتِّفَاقِ الْأَئِمَّةِ الْأَرْبَعَةِ وَغَيْرِهِمْ
 مِنْ أئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ . وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ مِنَ الْأَئِمَّةِ : إِنَّهُ لَا تَجُوزُ
 الصَّلَاةُ إِلَّا خَلْفَ مَنْ عَلِمَ بَاطِلُ أَمْرِهِ ، بَلْ مَا زَالَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ
 بَعْدِ نَبِيِّهِمْ يُصَلُّونَ خَلْفَ الْمُسْلِمِ الْمَسْتَوْرِ .

١٥- وَلَكِنْ إِذَا ظَهَرَ مِنَ الْمُصَلِّي بِدْعَةٌ أَوْ فُجُورٌ ، وَأَمَكَنَ
 الصَّلَاةُ خَلْفَ مَنْ يُعْلَمُ أَنَّهُ مُبْتَدِعٌ أَوْ فَاسِقٌ ، مَعَ إِمْكَانِ
 الصَّلَاةِ خَلْفَ غَيْرِهِ ، فَأَكْثَرُ أَهْلِ الْعِلْمِ يُصَحِّحُونَ صَلَاةَ
 الْمَأْمُومِ . وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ . وَهُوَ أَحَدُ
 الْقَوْلَيْنِ فِي مَذْهَبِ مَالِكٍ وَأَحْمَدَ .

١٦- وَأَمَّا إِذَا لَمْ يُمَكِّنِ الصَّلَاةُ إِلَّا خَلْفَ الْمُبْتَدِعِ أَوْ الْفَاجِرِ

كَالْجُمُعَةِ الَّتِي إِمَامُهَا مُبْتَدِعٌ أَوْ فَاجِرٌ ، وَلَيْسَ هُنَاكَ جُمُعَةٌ أُخْرَى : فَهَذِهِ تُصَلَّى خَلْفَ الْمُبْتَدِعِ وَالْفَاجِرِ عِنْدَ عَامَّةِ « أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ » . وَهَذَا مَذْهَبُ الشَّافِعِيِّ وَأَبِي حَنِيفَةَ وَأَحْمَدَ بْنِ حَنْبَلٍ وَغَيْرِهِمْ ، مِنْ أَئِمَّةِ « أَهْلِ السُّنَّةِ » بِإِلَا خِلَافٍ عِنْدَهُمْ .

١٧- وَكَانَ بَعْضُ النَّاسِ إِذَا كَثُرَتِ الْأَهْوَاءُ يُحِبُّ أَنْ لَا يُصَلِّيَ إِلَّا خَلْفَ مَنْ يَعْرِفُهُ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِحْبَابِ ، كَمَا نُقِلَ ذَلِكَ عَنْ أَحْمَدَ ؛ أَنَّهُ ذَكَرَ ذَلِكَ لِمَنْ سَأَلَهُ . وَلَمْ يَقُلْ أَحَدٌ : إِنَّهُ لَا تَصِحُّ إِلَّا خَلْفَ مَنْ أَعْرِفُ حَالَهُ .

١٨- وَلَمَّا قَدِمَ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ مَرْزُوقٍ إِلَى دِيَارِ مِصْرَ - وَكَانَ مُلُوكُهَا فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ مُظْهِرِينَ لِلتَّشْيِيعِ وَكَانُوا بَاطِنِيَّةَ مَلَاحِدَةٍ ، وَكَانَ بِسَبَبِ ذَلِكَ قَدْ كَثُرَتِ الْبِدَعُ وَظَهَرَتْ بِالْذِّيَارِ الْمِصْرِيَّةِ - أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ لَا يُصَلُّوا إِلَّا خَلْفَ مَنْ يَعْرِفُونَهُ لِأَجْلِ ذَلِكَ ^(١) ، ثُمَّ بَعْدَ مَوْتِهِ فَتَحَهَا مُلُوكُ السُّنَّةِ قَبْلَ

(١) أي : لأجل كون ملوكهم الفاطميين ودعاتهم ملاحدة لا شيعة مبتدعة فقط . « محمد رشيد رضا » .

صَلَّاحِ الدِّينِ وَظَهَرَتْ فِيهَا كَلِمَةُ السُّنَّةِ الْمُخَالَفَةُ لِلرَّافِضَةِ
ثُمَّ صَارَ الْعِلْمُ وَالسُّنَّةُ يَكْثُرُ بِهَا وَيُظْهَرُ .

١٩- فَالصَّلَاةُ خَلْفَ الْمَسْتُوْرِ جَائِزَةٌ بِاتِّفَاقِ عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ
وَمَنْ قَالَ : إِنَّ الصَّلَاةَ مُحَرَّمَةٌ أَوْ بَاطِلَةٌ خَلْفَ مَنْ لَا يُعْرَفُ
حَالُهُ فَقَدْ خَالَفَ إِجْمَاعَ « أَهْلِ السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ » .

٢٠- وَقَدْ كَانَ الصَّحَابَةُ رَضَوْنَ اللَّهَ عَلَيْهِمْ يُصَلُّونَ خَلْفَ مَنْ
يَعْرِفُونَ فُجُورَهُ . كَمَا صَلَّى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ مِنْ
الصَّحَابَةِ خَلْفَ الْوَلِيدِ بْنِ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ ، وَكَانَ قَدْ
يَشْرَبُ الْخَمْرَ وَصَلَّى مَرَّةً الصُّبْحَ أَرْبَعًا وَجَلَدَهُ عُثْمَانُ بْنُ
عَفَّانَ عَلَى ذَلِكَ .

٢١- وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ وَغَيْرُهُ مِنَ الصَّحَابَةِ يُصَلُّونَ خَلْفَ
الْحَبَّاجِ بْنِ يُوسُفَ . وَكَانَ الصَّحَابَةُ وَالتَّابِعُونَ يُصَلُّونَ خَلْفَ
ابْنِ أَبِي عُبَيْدٍ ، وَكَانَ مُتَّهِمًا بِالْإِلْحَادِ وَدَاعِيًا إِلَى الضَّلَالِ .



فصل

٢٢- وَلَا يَجُوزُ تَكْفِيرُ الْمُسْلِمِ بِذَنْبٍ فَعَلَهُ وَلَا بِخَطِيئَةٍ أَخْطَأَ فِيهِ . كَالْمَسَائِلِ الَّتِي تَنَازَعُ فِيهَا أَهْلُ الْقِبْلَةِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ : ﴿ ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفِرُ بَيْنَ يَدَيْكَ أَحَدٌ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴾ [البقرة : ٢٨٦] .

٢٣- وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ : أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَجَابَ هَذَا الدُّعَاءَ وَغَفَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ خَطَايَاهُمْ .

٢٤- وَ « الْحَوَارِجُ » الْمَارِقُونَ - الَّذِينَ أَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ بِقِتَالِهِمْ - قَاتَلَهُمْ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ أَحَدُ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ ، وَاتَّفَقَ عَلَى قِتَالِهِمْ أَئِمَّةُ الدِّينِ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ وَمَنْ بَعْدَهُمْ .

٢٥- وَلَمْ يُكْفَرْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ وَغَيْرُهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ بَلْ جَعَلُوهُمْ مُسْلِمِينَ مَعَ قِتَالِهِمْ .

٢٦. وَلَمْ يُقَاتِلْهُمْ عَلَيَّ حَتَّى سَفَكُوا الدَّمَ الْحَرَامَ ، وَأَعَارَوا عَلَيَّ
أَمْوَالِ الْمُسْلِمِينَ ، فَقَاتَلْتُهُمْ لِدَفْعِ ظُلْمِهِمْ وَبَغْيِهِمْ لَا لِأَنَّهُمْ
كُفَّارٌ ، وَلِهَذَا لَمْ يَسِبْ حَرِيمَتَهُمْ وَلَمْ يَغْنَمْ أَمْوَالَهُمْ .

٢٧. وَإِذَا كَانَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ ثَبَتَ ضَلَالُهُمْ بِالنِّصِّ وَالْإِجْمَاعِ لَمْ
يُكْفَرُوا مَعَ أَمْرِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ بِقِتَالِهِمْ ، فَكَيْفَ بِالطَّوَائِفِ
الْمُخْتَلِفِينَ الَّذِينَ اسْتَبَنَ عَلَيْهِمُ الْحَقُّ ، فِي مَسَائِلَ غَلِظَ
فِيهَا مَنْ هُوَ أَغْلَمُ مِنْهُمْ ؟

٢٨. فَلَا يَحِلُّ لِأَحَدٍ هَذِهِ الطَّوَائِفِ أَنْ تُكْفَرَ الْأُخْرَى وَلَا
تُسْتَحِلَّ دِمَاحَ وَمَالَهَا ، وَإِنْ كَانَتْ فِيهَا بِدْعَةٌ مُحَقَّقَةٌ ،
فَكَيْفَ إِذَا كَانَتْ الْمُكَفَّرَةُ لَهَا مُبْتَدِعَةٌ أَيْضًا ؟

٢٩. وَقَدْ تَكُونُ بِدْعَةُ هَؤُلَاءِ أَغْلَظَ ، وَالْغَالِبُ أَنَّهُمْ جَمِيعًا
جُهَالٌ بِحَقَائِقِ مَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ .

٣٠. وَالْأَضَلُّ : أَنَّ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَعْرَاضَهُمْ
مُحَرَّمَةٌ مِنْ بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ ، لَا تَحِلُّ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
وَرَسُولِهِ .

٣١- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا خَطَبَهُمْ فِي حَجَّةِ الْوَدَاعِ : « إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هَذَا ، فِي بَلَدِكُمْ هَذَا فِي شَهْرِكُمْ هَذَا » .

٣٢- وَقَالَ : « كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ : دَمُهُ ، وَمَالُهُ ، وَعِرْضُهُ » .

٣٣- وَقَالَ « مَنْ صَلَّى صَلَاتِنَا ، وَاسْتَقْبَلَ قِبْلَتَنَا ، وَأَكَلَ ذِيحَنَّتَنَا فَهُوَ الْمُسْلِمُ لَهُ دِمَةٌ اللَّهُ وَرَسُولُهُ » .

٣٤- وَقَالَ « إِذَا التَقَى الْمُسْلِمَانِ بِسَيْفَيْهِمَا ، فَالْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ » ، قِيلَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْقَاتِلُ ! فَمَا بَالُ الْمَقْتُولِ ؟ قَالَ : « إِنَّهُ أَرَادَ قَتْلَ صَاحِبِهِ » .

٣٥- وَقَالَ : « لَا تَزْجِعُوا بَعْدِي كُفَّارًا ، يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ » .

٣٦- وَقَالَ « إِذَا قَالَ الْمُسْلِمُ لِأَخِيهِ يَا كَافِرُ ! فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا » .

وَهَذِهِ الْأَحَادِيثُ كُلُّهَا فِي الصُّحَا ح .

٣٧- وَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُ مُتَأَوَّلًا فِي الْقِتَالِ أَوْ التَّكْفِيرِ لَمْ يُكْفَرْ بِذَلِكَ .

٣٨- كَمَا قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ لِحَاطِبٍ ^(١) بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ :
يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعْنِي أَضْرِبُ عَنْقَ هَذَا الْمُنَافِقِ فَقَالَ
النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْرًا ، وَمَا يُذْرِيكَ لَعَلَّ اللَّهَ
قَدْ أَطْلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ فَقَالَ اْعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ فَقَدْ غَفَرْتُ
لَكُمْ ! » . وَهَذَا فِي الصَّحِيحَيْنِ .

٣٩- وَفِيهِمَا أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ الْإِفْكِ : أَنَّ أُسَيْدَ بْنَ الْحَضِرِ
قَالَ لِسَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ : « إِنَّكَ مُنَافِقٌ تُجَادِلُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ »
وَاخْتَصَمَ الْفَرِيقَانِ ، فَأَصْلَحَ النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُمَا .

٤٠- فَهَؤُلَاءِ الْبَذْرِيُّونَ فِيهِمْ مَنْ قَالَ لِآخَرٍ مِنْهُمْ : « إِنَّكَ
مُنَافِقٌ » ، وَلَمْ يُكْفَرْ النَّبِيُّ ﷺ لَا هَذَا وَلَا هَذَا بَلْ شَهِدَ
لِلْجَمِيعِ بِالْجَنَّةِ .

٤١- وَكَذَلِكَ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ أَنَّهُ قَتَلَ

(١) أي في شأن حاطب . « رشيد رضا » .

رَجُلًا بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، وَعَظَّمَ النَّبِيَّ ﷺ ذَلِكَ لَمَّا أَخْبَرَهُ وَقَالَ : « يَا أَسَامَةُ أَقْتَلْتَهُ بَعْدَ مَا قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ؟ » وَكَرَّرَ ذَلِكَ عَلَيْهِ حَتَّى قَالَ أَسَامَةُ : تَمَثَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ إِلَّا يَوْمَئِذٍ .

٤٢- وَمَعَ هَذَا لَمْ يُوجِبْ عَلَيْهِ قَوْدًا وَلَا دِيَّةً وَلَا كَفَّارَةً ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُتَأَوَّلًا ظَنَّ جَوَازَ قَتْلِ ذَلِكَ الْقَائِلِ لِظَنِّهِ أَنَّهُ قَالَهَا تَعَوُّذًا .

٤٣- فَهَكَذَا السَّلَفُ قَاتَلَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا مِنْ أَهْلِ « الْجَمَلِ وَصِفِينَ » وَنَحْوِهِمْ وَكُلُّهُمْ مُسْلِمُونَ مُؤْمِنُونَ ، كَمَا قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَفَقِّلُوا إِلَيْهِ تَبَعِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ أَمْرِ اللَّهِ فَإِنْ فَاءَتْ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾ [الحجرات : ٩] .

٤٤- فَقَدْ بَيَّنَّ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُمْ مَعَ اقْتِتَالِهِمْ وَتَبَعِي بَعْضِهِمْ عَلَى بَعْضٍ إِخْوَةٌ مُؤْمِنُونَ وَأَمَرَ بِالْإِصْلَاحِ بَيْنَهُمْ بِالْعَدْلِ .

٤٥- وَلِهَذَا كَانَ السَّلَفُ مَعَ الْإِقْتِتَالِ يُؤَالِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا

مُؤَالَاةِ الدِّينِ ، لَا يُعَادُونَ كَمُعَادَاةِ الْكُفَّارِ ، فَيَقْبَلُ بَعْضُهُمْ شَهَادَةَ بَعْضٍ وَيَأْخُذُ بَعْضُهُمُ الْعِلْمَ عَنْ بَعْضٍ وَيَتَوَارَثُونَ وَيَتَنَكَحُونَ وَيَتَعَامَلُونَ بِمُعَامَلَةِ الْمُسْلِمِينَ بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ مَعَ مَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْقِتَالِ وَالتَّلَاعِنِ وَغَيْرِ ذَلِكَ .

٤٦- وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ : أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ لَا يَهْلِكَ أُمَّتُهُ بِسَنَةِ عَامَةٍ ، فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ ، وَسَأَلَهُ أَنْ لَا يُسَلِّطَ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ فَأَعْطَاهُ ذَلِكَ ، وَسَأَلَهُ أَنْ لَا يَجْعَلَ بَأْسَهُمْ بَيْنَهُمْ فَلَمْ يُعْطَ ذَلِكَ .

وَأَخْبَرَ : أَنَّ اللَّهَ لَا يُسَلِّطُ عَلَيْهِمْ عَدُوًّا مِنْ غَيْرِهِمْ يَغْلِبُهُمْ كُلُّهُمْ حَتَّى يَكُونَ بَعْضُهُمْ يَقْتُلُ بَعْضًا ، وَبَعْضُهُمْ يَنْسِي بَعْضًا .

٤٧- وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ : لَمَّا نَزَلَ قَوْلُهُ : ﴿ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِنْ فَوْقِكُمْ ﴾ قَالَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ﴿ أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ ﴾ قَالَ : أَعُوذُ بِوَجْهِكَ ﴿ أَوْ يَلْسَنُكُمْ شَيْعًا وَيَذِيقَ بَعْضَكُمْ بَأْسَ بَعْضٍ ﴾ [الأنعام : ٦٥] . قَالَ : هَاتَانِ أَهْوَنُ .

٤٨- هَذَا مَعَ أَنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالْجَمَاعَةِ وَالْإِتِّلَافِ وَنَهَى عَنْ
الْبِدْعَةِ وَالْإِخْتِلَافِ وَقَالَ : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا
شِيْعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ ﴾ [الأنعام : ١٥٩] .

٤٩- وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ : « عَلَيْكُمْ بِالْجَمَاعَةِ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ عَلَى
الْجَمَاعَةِ » .

٥٠- وَقَالَ : « الشَّيْطَانُ مَعَ الْوَاحِدِ وَهُوَ مِنْ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ » .

٥١- وَقَالَ : « الشَّيْطَانُ ذَنْبُ الْإِنْسَانِ كَذَبُ الْغَنَمِ وَالذُّبُّ
إِنَّمَا يَأْخُذُ الْقَاصِيَةَ وَالنَّائِيَةَ مِنَ الْغَنَمِ » .

٥٢- فَالْوَاجِبُ عَلَى الْمُسْلِمِ إِذَا صَارَ فِي مَدِينَةٍ مِنْ مَدَائِنِ
الْمُسْلِمِينَ أَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُمُ الْجُمُعَةَ وَالْجَمَاعَةَ ، وَيُؤَلِّيَ
الْمُؤْمِنِينَ وَلَا يُعَادِيَهُمْ ، وَإِنْ رَأَى بَعْضَهُمْ ضَالًّا أَوْ غَاوِيًّا
وَأَمَكَرَ أَنْ يَهْدِيَهُ وَيُرْشِدَهُ فَعَلَ ذَلِكَ ، وَإِلَّا فَلَا يُكَلِّفُ اللَّهُ
نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا .

٥٣- وَإِذَا كَانَ قَادِرًا عَلَى أَنْ يُؤَلِّيَ فِي إِمَامَةِ الْمُسْلِمِينَ الْأَفْضَلَ
وَلَأَهُ ، وَإِنْ قَدَّرَ أَنْ يَمْنَعَ مَنْ يُظْهِرُ الْبِدْعَ وَالْفُجُورَ مَنَعَهُ .

٥٤- وَإِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى ذَلِكَ فَالصَّلَاةُ خَلْفَ الْأَعْلَمِ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ الْأَسْبَقِ إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ أَفْضَلُ .

٥٥- كَمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الصَّحِيحِ : « يَوْمُ الْقَوْمِ أَقْرَبُهُمْ لِكِتَابِ اللَّهِ ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْقِرَاءَةِ سَوَاءً فَأَعْلَمُهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنْ كَانُوا فِي السُّنَّةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ هِجْرَةَ ، فَإِنْ كَانُوا فِي الْهِجْرَةِ سَوَاءً فَأَقْدَمُهُمْ سِنًا » .

٥٦- وَإِنْ كَانَ فِي هَجْرِهِ لِمُظْهِرِ الْبِدْعَةِ وَالْفُجُورِ مَصْلَحَةٌ رَاحِحَةٌ هَجْرَهُ كَمَا هَجَرَ النَّبِيُّ ﷺ الثَّلَاثَةَ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّى تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ .

٥٧- وَأَمَّا إِذَا وُلِّيَ غَيْرُهُ بَعِيرُهُ إِذْنِهِ وَلَيْسَ فِي تَرْكِ الصَّلَاةِ خَلْفُهُ مَصْلَحَةٌ شَرْعِيَّةٌ كَانَ تَقْوِيْتُ هَذِهِ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَةِ جَهْلًا وَضَلَالًا وَكَانَ قَدْ رَدَّ بِدْعَةً بِبِدْعَةٍ .

٥٨- حَتَّى إِنَّ الْمُصَلِّيَّ الْجُمُعَةَ خَلْفَ الْفَاجِرِ اخْتَلَفَ النَّاسُ فِي إِعَادَتِهِ الصَّلَاةَ وَكَرِهَهَا أَكْثَرُهُمْ حَتَّى قَالَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ فِي رِوَايَةِ عَبْدِوَيْسَ : مَنْ أَعَادَهَا فَهُوَ مُبْتَدِعٌ . وَهَذَا أَظْهَرُ

الْقَوْلَيْنِ لِأَنَّ الصَّحَابَةَ لَمْ يَكُونُوا يُعِيدُونَ الصَّلَاةَ إِذَا صَلُّوا
خَلْفَ أَهْلِ الْفُجُورِ وَالْبِدْعِ وَلَمْ يَأْمُرِ اللَّهُ تَعَالَى قَطُّ أَحَدًا إِذَا
صَلَّى كَمَا أَمَرَ بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ يُعِيدَ الصَّلَاةَ .

٥٩- وَلِهَذَا كَانَ أَصَحُّ قَوْلِي الْعُلَمَاءِ أَنَّ مَنْ صَلَّى بِحَسَبِ
اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ لَا يُعِيدَ حَتَّى الْمُتَيْتِمَ لِخَشْيَةِ الْبُرْدِ وَمَنْ
عَدِمَ الْمَاءَ وَالتُّرَابَ إِذَا صَلَّى بِحَسَبِ حَالِهِ وَالْمَحْبُوسُ
وَذَوُوا الْأَغْدَارِ النَّادِرَةِ وَالْمُعْتَادَةِ وَالْمُتَّصِلَةِ وَالْمُنْقَطِعَةِ لَا
يَجِبُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْ يُعِيدَ الصَّلَاةَ إِذَا صَلَّى الْأَوَّلَى
بِحَسَبِ اسْتِطَاعَتِهِ .

٦٠- وَقَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ أَنَّ الصَّحَابَةَ صَلُّوا بِغَيْرِ مَاءٍ وَلَا تَيْتَمٍ
لَمَّا فَقَدَتْ غَائِشَةُ عَقْدَهَا وَلَمْ يَأْمُرْهُمْ النَّبِيُّ ﷺ بِالْإِعَادَةِ .

٦١- بَلْ أَبْلَغُ مِنْ ذَلِكَ : أَنَّ مَنْ كَانَ يَتْرُكُ الصَّلَاةَ جَهْلًا بِوُجُوبِهَا
لَمْ يَأْمُرْهُ بِالْقَضَاءِ . فَعَمَرُوا وَعَمَّارٌ لَمَّا أَجَنَبَا وَعَمَرُوا لَمْ يُصَلِّ
وَعَمَّارٌ تَمَرَّغَ كَمَا تَتَمَرَّغُ الدَّائِبَةُ لَمْ يَأْمُرْهُمَا بِالْقَضَاءِ . وَأَبُو ذَرٍّ
لَمَّا كَانَ يُجَنِّبُ وَلَا يُصَلِّي لَمْ يَأْمُرْهُ بِالْقَضَاءِ .

٦٢- وَالْمُسْتَحَاضَةُ لَمَّا اسْتَحَاضَتْ حَيْضَةً شَدِيدَةً مُنْكَرَةً
مَنْعَتْهَا الصَّلَاةَ وَالصُّومَ لَمْ يَأْمُرْهَا بِالْقَضَاءِ .

٦٣- وَالَّذِينَ أَكَلُوا فِي رَمَضَانَ حَتَّى يَنْتَبِهَ لِأَحَدِهِمُ الْحَبْلُ
الْأَبْيَضُ مِنَ الْحَبْلِ الْأَسْوَدِ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِالْقَضَاءِ .

٦٤- وَكَانُوا قَدْ غَلِطُوا فِي مَعْنَى الْآيَةِ ، فَظَنُّوا أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى :

﴿ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ

الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ﴾ [البقرة : ١٨٧] هُوَ الْحَبْلُ ! فَقَالَ

النَّبِيُّ ﷺ : « إِنَّمَا هُوَ سَوَادُ اللَّيْلِ وَبَيَاضُ النَّهَارِ » . وَلَمْ

يَأْمُرْهُمْ بِالْقَضَاءِ .

٦٥- وَالْمُسْبِيءُ فِي صَلَاتِهِ لَمْ يَأْمُرْهُ بِإِعَادَةِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ

الصَّلَوَاتِ .

٦٦- وَالَّذِينَ صَلَّوْا إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ بِمَكَّةَ وَالْحَبَشَةِ وَغَيْرِهِمَا

بَعْدَ أَنْ نُسِخَتْ بِالْأَمْرِ بِالصَّلَاةِ إِلَى الْكُعْبَةِ ، وَصَارُوا

يُصَلُّونَ إِلَى الصُّخْرَةِ حَتَّى بَلَغَهُمُ الشَّخْ لَمْ يَأْمُرْهُمْ بِإِعَادَةِ

مَا صَلَّوْا . وَإِنْ كَانَ هَؤُلَاءِ أَغْذَرَ مِنْ غَيْرِهِمْ لِيَتَمَسَّكِيهِمْ

بِشْرَعٍ مُنْشَوْخٍ .

٦٧- وقد اختلف العلماء في خطاب الله ورسوله هل يثبت حكمه في حق العبيد قبل البلاغ ؟ على ثلاثة أقوال ، في مذهب أحمد وغيره . قيل : يثبت ، وقيل : لا يثبت ، وقيل : يثبت المبتدأ دون الناسخ . والصحيح ما دل عليه القرآن في قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء : ١٥] ، وقوله : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ﴾ [النساء : ١٦٥] .

٦٨- وفي « الصحيحين » : « مَا أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَرْسَلَ الرُّسُلَ مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ » .

٦٩- فالتأول والجاهل المغذور ليس حكمه حكم المعتاند والفاجر بل قد جعل الله لكل شيء قدرا .



فصل

٧٠. أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى :

* شَهَادَةِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ .

* وَأَنَّ ذَلِكَ حَقٌّ يَجْزِمُ بِهِ الْمُسْلِمُونَ وَيَقْطَعُونَ بِهِ وَلَا يَرْتَابُونَ .

* وَكُلُّ مَا عَلِمَهُ الْمُسْلِمُ وَجَزَمَ بِهِ فَهُوَ يَقْطَعُ بِهِ وَإِنْ كَانَ اللَّهُ قَادِرًا عَلَى تَغْيِيرِهِ .

٧١. فَالْمُسْلِمُ يَقْطَعُ بِمَا يَرَاهُ وَيَسْمَعُهُ وَيَقْطَعُ بِأَنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَى مَا يَشَاءُ . وَإِذَا قَالَ الْمُسْلِمُ : أَنَا أَقْطَعُ بِذَلِكَ ، فَلَيْسَ مُرَادُهُ أَنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى تَغْيِيرِهِ .

٧٢. بَلَى مَنْ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ إِمَاتَةِ الْخَلْقِ وَإِحْيَائِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ وَعَلَى تَسْيِيرِ الْجِبَالِ وَتَبْدِيلِ الْأَرْضِ غَيْرِ الْأَرْضِ فَإِنَّهُ يُسْتَتَابُ فَإِنْ تَابَ وَإِلَّا قُتِلَ .

٧٣. وَالَّذِينَ يَكْرَهُونَ لَفْظَ الْقَطْعِ مِنْ أَصْحَابِ أَبِي عَمْرٍو بْنِ مَرْزُوقٍ هُمْ قَوْمٌ أَخَذُوا ذَلِكَ مِنْ عِنْدِهِمْ .

٧٤- وَلَمْ يَكُنْ هَذَا الشَّيْخُ يُنْكِرُ هَذَا ، وَلَكِنْ أَصْلُ هَذَا أَنَّهُمْ
كَانُوا يَسْتَشْنُونَ فِي الْإِيمَانِ .

٧٥- كَمَا نُقِلَ ذَلِكَ عَنِ السَّلَفِ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ : « أَنَا مُؤْمِنٌ
إِنْ شَاءَ اللَّهُ » . وَيَسْتَشْنُونَ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمْ :
« صَلَّيْتُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ » .

٧٦- وَمُرَادُ السَّلَفِ مِنْ ذَلِكَ الْإِسْتِئْنَاءُ : إِمَّا لِكَوْنِهِ لَا يَقْطَعُ بِأَنَّهُ
فَعَلَ الْوَاجِبَ كَمَا أَمَرَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَيَشْكُ فِي قَبُولِ اللَّهِ
لِلذَلِكَ فَاسْتَشْنَى ذَلِكَ ، أَوْ لِلشَّكِّ فِي الْعَاقِبَةِ ، أَوْ يَسْتَشْنِي
لِأَنَّ الْأُمُورَ جَمِيعَهَا إِنَّمَا تَكُونُ بِمَشِيئَةِ اللَّهِ ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى :
﴿ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ﴾ [الفتح : ٢٧]
مَعَ أَنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِأَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ لَا شَكَّ فِي ذَلِكَ أَوْ لِقَلَّا
يُزَكِّي أَحَدُهُمْ نَفْسَهُ .

٧٧- وَكَانَ أَوْلَيْكَ يَمْتَنِعُونَ عَنِ الْقُطْعِ فِي مِثْلِ هَذِهِ الْأُمُورِ ثُمَّ
جَاءَ بَعْدَهُمْ قَوْمٌ جُهَالٌ فَكَرِهُوا لَفْظَ الْقُطْعِ فِي كُلِّ شَيْءٍ
وَرَوَوْا فِي ذَلِكَ أَحَادِيثَ مَكْذُوبَةً .

٧٨- وَكُلُّ مَنْ رَوَى عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَوْ عَنْ أَصْحَابِهِ أَوْ وَاحِدٍ مِنْ
عُلَمَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَنَّهُ كَرِهَ لَفْظَ الْقَطْعِ فِي الْأُمُورِ الْمَجْزُومِ
بِهَا فَقَدْ كَذَبَ عَلَيْهِ . وَصَارَ الْوَاحِدُ مِنْ هَؤُلَاءِ يَظُنُّ أَنَّهُ إِذَا
أَقْرَأَ بِهَذِهِ الْكَلِمَةِ فَقَدْ أَقْرَأَ بِأَمْرِ عَظِيمٍ فِي الدِّينِ .

٧٩- وَهَذَا جَهْلٌ وَضَلَالٌ مِنْ هَؤُلَاءِ الْجُهَّالِ لَمْ يَسْبِقْهُمْ إِلَى
هَذَا أَحَدٌ مِنْ طَوَائِفِ الْمُسْلِمِينَ وَلَا كَانَ شَيْخُكُمْ أَبُو عَمْرٍو
ابْنُ مَرْزُوقٍ وَلَا أَصْحَابُهُ فِي حَيَاتِهِ وَلَا خِيَارُ أَصْحَابِهِ بَعْدَ
مَوْتِهِ يَمْتَنِعُونَ مِنْ هَذَا اللَّفْظِ مُطْلَقًا بَلْ إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا طَائِفَةٌ
مِنْ جُهَّالِهِمْ .

٨٠- كَمَا أَنَّ طَائِفَةً أُخْرَى زَعَمُوا أَنَّ مَنْ سَبَّ الصَّحَابَةَ لَا يَقْبَلُ
اللَّهُ تَوْبَتَهُ وَإِنْ تَابَ وَرَوَّاهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ « سَبَّ
أَصْحَابِي ذَنْبٌ لَا يُغْفَرُ » .

٨١- وَهَذَا الْحَدِيثُ كَذِبٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَرَوْهُ أَحَدٌ مِنْ
أَهْلِ الْعِلْمِ ، وَلَا هُوَ فِي شَيْءٍ مِنْ كُتُبِهِمُ الْمُعْتَمَدَةِ ، وَهُوَ
مُخَالِفٌ لِلْقُرْآنِ لِأَنَّ اللَّهَ قَالَ : ﴿ إِنْ آتَاكَ اللَّهُ فَقَالَ : لَا يُغْفَرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ »

وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ ﴿٤٨﴾ [النساء : ٤٨] .

٨٢- هَذَا فِي حَقِّ مَنْ لَمْ يَتُبْ .

٨٣- وَقَالَ فِي حَقِّ النَّاسِيَةِ : ﴿ قُلْ يَعْبادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر : ٥٣] .

٨٤- فَتُبَّتْ بِكِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ رَسُولِهِ ﷺ : أَنَّ كُلَّ مَنْ تَابَ ، تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

٨٥- وَمَعْلُومٌ أَنَّ مَنْ سَبَّ الرَّسُولَ مِنَ الْكُفَّارِ الْمُحَارِبِينَ ، وَقَالَ : هُوَ سَاجِرٌ أَوْ شَاعِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ أَوْ مُعَلِّمٌ أَوْ مُفْتَرٍ ؛ وَتَابَ تَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ .

٨٦- وَقَدْ كَانَ طَائِفَةٌ يَسُبُّونَ النَّبِيَّ مِنْ أَهْلِ الْحَرْبِ ثُمَّ أَسْلَمُوا وَحَسَنَ إِسْلَامُهُمْ وَقَبِلَ النَّبِيُّ مِنْهُمْ .

٨٧- مِنْهُمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ ابْنِ عَمِّ النَّبِيِّ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ ، وَكَانَ قَدْ ارْتَدَّ ، وَكَانَ يَكْذِبُ عَلَى النَّبِيِّ وَيَقُولُ : أَنَا كُنْتُ أَعْلَمُهُ الْقُرْآنَ ثُمَّ

تَابَ وَأَسْلَمَ وَبَايَعَهُ النَّبِيُّ عَلَى ذَلِكَ .

٨٨- وَإِذَا قِيلَ : سَبَّ الصَّحَابَةَ حَقٌّ لِأَدَمِيِّ .

قِيلَ : الْمُسْتَحِلُّ لِسَبِّهِمْ كَالرَّافِضِيِّ يَفْتَقِدُ ذَلِكَ دِينًا كَمَا
يَعْتَقِدُ الْكَافِرُ سَبَّ النَّبِيِّ دِينًا ، فَإِذَا تَابَ وَصَارَ يُحِبُّهُمْ
وَيُثْنِي عَلَيْهِمْ وَيَدْعُو لَهُمْ مَحَا اللَّهُ سَيِّئَاتِهِ بِالْحَسَنَاتِ .

٨٩- وَمَنْ ظَلَمَ إِنْسَانًا فَقَذَفَهُ أَوْ اعْتَابَهُ أَوْ شَتَمَهُ ، ثُمَّ تَابَ : قَبِلَ اللَّهُ
تَوْبَتَهُ ، لَكِنْ إِنْ عَرَفَ الْمَظْلُومَ مَكَتَهُ مِنْ أَخْذِ حَقِّهِ .

٩٠- وَإِنْ قَذَفَهُ أَوْ اعْتَابَهُ وَلَمْ يَبْلُغْهُ ، فَفِيهِ قَوْلَانِ لِلْعُلَمَاءِ ، هُمَا
رَوَاتَانِ عَنْ أَحْمَدَ : أَصَحُّهُمَا : أَنَّهُ لَا يُعْلِمُهُ أَنِّي اغْتَبْتُكَ .
وَقَدْ قِيلَ : بَلْ يُحْسِنُ إِلَيْهِ فِي غَيْبَتِهِ كَمَا أَسَاءَ إِلَيْهِ فِي
غَيْبَتِهِ . كَمَا قَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ : « كَفَّارَةُ الْغَيْبَةِ أَنْ
تَسْتَغْفِرَ لِمَنْ اغْتَبْتَهُ » .

٩١- فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ قَدْ سَبَّ الصَّحَابَةَ أَوْ غَيْرَ الصَّحَابَةِ وَتَابَ
فَإِنَّهُ يُحْسِنُ إِلَيْهِمْ بِالدُّعَاءِ لَهُمْ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِقَدْرِ مَا أَسَاءَ
إِلَيْهِمْ وَالْحَسَنَاتُ يُذْهِبُ السَّيِّئَاتِ .

٩٢. كَمَا أَنَّ الْكَافِرَ الَّذِي كَانَ يَسُبُّ النَّبِيَّ وَيَقُولُ إِنَّهُ كَذَّابٌ إِذَا تَابَ وَشَهِدَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ الصَّادِقُ الْمَصْدُوقُ وَصَارَ يُحِبُّهُ وَيُثْنِي عَلَيْهِ وَيُصَلِّي عَلَيْهِ : كَانَتْ حَسَنَاتُهُ مَاحِيَةً لِسَيِّئَاتِهِ ، وَاللَّهُ تَعَالَى ﴿ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا نَفْعَلُونَ ﴾ [الشورى : ٢٥] .
٩٣. وَقَدْ قَالَ تَعَالَى : ﴿ حَمَّ • تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ • غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّلَوِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصِيرِ ﴾ [غافر : ١ - ٣] .
- وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّم .



الفهارس العامة

- ١- فهرس الآيات
- ٢- فهرس الأحاديث
- ٣- فهرس الأعلام
- ٤- فهرس الموضوعات

١- فهرس الآيات

سورة البقرة

الآية	رقمها	الصفحة
وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط ..	١٨٧	٥٨
آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه	٢٨٦	٤٩

سورة آل عمران

يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته	١٠٦-١٠٦	٤٣
يوم تبيضُّ وجوه وتسودُّ وجوه	١٠٦	٤٤
فأما الذين اسودَّت وجوههم	١٠٦-١٠٧	٤٤

سورة النساء

إن الله لا يغفر أن يشرك به	٤٨	٦٢
لئلا يكون للناس على الله حجة	١٦٥	٥٩

سورة الأنعام

قل هو القادر على أن يبعث عليكم ...	٦٥	٥٤
إن الذين فزقوا دينهم ...	١٥٩	٥٥

سورة الإسراء

وما كنا معذيين حتى نبعث رسولا	١٥	٥٩
-------------------------------	----	----

سورة الزمر

٦٣ قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم ٥٣

سورة غافر

٦٥ حم • تنزيل الكتاب من الله العزيز العليم ١ - ٣

سورة فصلت

١٦ سنريهم آياتنا في الآفاق ٥٣

سورة الشورى

٦٥ يقبل التوبة عن عباده ٢٥

سورة الفتح

٦١ لتدخلن المسجد الحرام ٢٧

سورة الحجرات

٥٣ وإن طائفتان من المؤمنين ٩



٢. فهرس الأحاديث

- ٥١ إذا التقى المسلمان بسيفيهما
- ٥١ إذا قال المسلم لأخيه يا كافر
- ٥١ إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم
- ٥٨ إنما هو سواد الليل
- ٥٢ إنه قد شهد بدرًا
- ٥٤ سأل ربّه أن لا يهلك أمته
- ٦٢ سب أصحابي ذنب لا يغفر
- ٥٥ الشيطان ذئب الإنسان
- ٥٥ الشيطان مع الواحد
- ٥٥ عليكم بالجماعة
- ٤٤ في الخوارج أنهم كلاب أهل النار
- ٥١ كل المسلم على المسلم حرام
- ٥١ لا ترجعوا بعدي كفارًا
- ٥٩ ما أحد أحبّ إليه العذر من الله
- ٥١ من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا
- ٥٦ يؤمّ القوم أقرؤهم

٥٣ يا أسامة أقتلته ...

٤٤ يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم

٤٤ يقتلون أهل الإسلام



٣. فهرس الآثار

الصفحة	الراوي	طرف الأثر
٥٢	أسيد بن الحضير	إنك منافق
٤٣	ابن عباس	تَبَيَّضُ وُجُوهُ أَهْلِ السُّنَّةِ
٦٤	الحسن البصري	كفارة الغيبة أن تستغفر



٤. فهرس الأعلام

ابن أبي عبيد : ٤٨

ابن القيم : ٢٨ ، ٢٩

ابن عباس : ٤٣

أبو الأعلى المودودي : ٣٠ ، ٣١ ، ٣٣

أبو الحسن الأشعري : ١٧

أبو الحسن التميمي : ١٧

أبو الخطاب : ١٧

أبو القاسم سعد بن علي الزنجاني : ١٧

أبو أمانة الباهلي : ٤٤

أبو بكر الصديق : ٤٥

أبو بكر الرازي : ١٨ ، ٢٤

أبو بكر القفال الشاشي : ١٧

أبو حامد الغزالي : ٢٥ ، ٣٠ ، ٣١

أبو حنيفة : ١٧ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٤٦ ، ٤٧

أبو سفيان بن الحارث : ٦٣

أبو عمرو عثمان بن مرزوق : ٤٧ ، ٦٠ ، ٦٢

أبو نصر السجزي : ١٧

أحمد بن حنبل : ١٧ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٥٦ ، ٥٩ ، ٦٤

أسامة بن زيد : ٥٢ ، ٥٣

أسيد بن الحضير : ٥٢

الترمذي : ٤٤

الجهم بن صفوان : ١٧

حاطب بن أبي بلتعة : ٥٢

الحاكم : ٢٣

الحجاج بن يوسف : ٤٨

الحسن البصري : ٦٤

الربيع بن سالم : ٢٧

سعد بن أبي وقاص : ٤٩

سعد بن عباد : ٥٢

الشافعي : ٢٣ ، ٤٦ ، ٤٧

الشوكاني : ٢٨ ، ٢٩

صلاح الدين الأيوبي : ٤٨

طاهر الجزائري : ٢٩

عائشة : ٥٧

عبد الحميد بن باديس : ٢٩ ، ٣٣

عبد الله بن سبأ : ٤٥

عبد الله بن سعد بن أبي السراح : ٦٣

عبد الله بن عمر : ٤٨

عبد الله بن مسعود : ٤٨

عبدوس : ٥٦

عثمان بن عفان : ٤٨

علي بن أبي طالب : ٤٥ ، ٤٩

عمار بن ياسر : ٥٧

عمر بن الخطاب : ٤٥ ، ٥٢

الكرخي : ٢٤

مالك بن أنس : ١٧ ، ٤٦

محمد البشير الإبراهيمي : ٢٦ ، ٢٨ ، ٣٣

محمد رشيد رضا : ٢٨ ، ٣٣

محمد عبده الإمام : ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٣

محمد كرد علي : ٢٩

ولي الله الدهلوي : ٣٣

الوليد بن عقبة بن أبي معيط : ٤٨



٥ فهرس الموضوعات

- ٧ مقدمة المؤلف
- ٩ * طرف يسير من حياته وأهم آثاره الفكرية
- ٩ - ابن تيمية من أبرز المجتهدين في عصره
- ١٠ - ابن تيمية إمام الناقدين والناقضين للفكر اليوناني
- ١٠ - نبذة عن محن ابن تيمية رحمته الله
- ١١ - من آثار ابن تيمية الفكرية غير الفتاوى
- ١٢ * جهاد ابن تيمية للصليبية والباطنية
- ١٣ * النظرات الجزئية والمميزة لمشروع ابن تيمية التجديدي ..
- ١٤ * ابن تيمية والعقلانية المؤمنة
- ١٦ * ابن تيمية ومسألة التحسين والتقبيح
- ٢٠ * ابن تيمية ومسألة التأويل
- ٢١ * ابن تيمية ومسألة التكفير
- ٢٥ أئمة الصحوة وأعلام الإحياء الإسلامي وابن تيمية ..
- ٢٥ ١- الأستاذ الإمام محمد عبده رحمته الله

- ٢- الشيخ محمد البشير الإبراهيمي رَحِمَهُ اللهُ
- ٢٦
- ٣- الإمام عبد الحميد بن باديس رَحِمَهُ اللهُ
- ٢٩
- ٤- العلامة أبو الأعلى المودودي رَحِمَهُ اللهُ
- ٣٠
- « ابن تيمية إمام دعوات الاستارة في عصرنا الحديث ..
- ٣٣
- الأسباب التي التي جعلت ابن تيمية يمثل صرخة خالداً في
- تاريخ الفكر الإسلامي
- ٣٤
- أهمية الدراسات التي كتبت عن ابن تيمية
- ٣٦
- الرد على من يصف ابن تيمية بأنه مصدرًا للرجعية والإرهاب
- ٣٦
- الرد على بعض الطرق الصوفية التي تُكفر ابن تيمية ...
- ٣٧
- صور من مطبوعة العلامة الشيخ محمد رشيد رضا لرسالة
- « جمع كلمة المسلمين » لابن تيمية
- ٣٩
- نص رسالة « جمع كلمة المسلمين .. قاعدة أهل السنة
- والجماعة في رحمة أهل البدع والمعاصي ومشاركتهم في
- صلاة الجماعة واتقاء تكفيرهم » للإمام ابن تيمية
- ٤١
- صفة الخوارج وبيان أنهم أول من كفر المسلمين
- ٤٤

- ٤٥ - أول بدعة حدثت في الإسلام بدعة الخوارج والشيعة ..
- ٤٦ - من أصول أهل السنة والجماعة صلاة الجماعة والجماعات .
- ٤٦ - ما زال المسلمون بعد نبيهم يُصَلُّون خلف المسلم المستور .
- ٤٧ - الصلاة خلف المبتدع والفاجر
- ٤٩ - لا يجوز تكفير المسلم بذنب فعله ولا بخطأ أخطأ فيه
- الأصل أن دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم محرمة من بعضهم على بعض
- ٥٢ - إذا كان المسلم متأولاً في القتال أو التكفير لم يُكْفَر بذلك .
- ٥٥ - الله أمر بالجماعة والاتلاف ونهى عن البدعة والاختلاف .
- ٦٧ - الفهارس العامة
- ٦٩ - ١- فهرس الآيات
- ٧١ - ٢- فهرس الأحاديث
- ٧٣ - ٣- فهرس الآثار
- ٧٤ - ٣- فهرس الأعلام
- ٧٨ - ٤- فهرس الموضوعات

هَذَا الْكِتَابُ

ما أشبه هذا العصر الذي نعيش فيه بالعصر الذي عاش فيه شيخ الإسلام ابن تيمية .. فالأمة تعيش مازقا حصاريا ، تحالف عليها فيه (التحالف الموروث .. والأمراض الذاتية (مع الهيمنة (الصليبية - الصهيونية) ، التي تمحور هذا التحالف الموروث والأمراض الذاتية ، لتكسر شوكة الإسلام . وتستأثر بدنيا المسلمين . ولأن شيخ الإسلام ابن تيمية كان المجاهد ضد الغزاة - الصليبين والنتار - كما كان المجتهد لعلاج أمراض الأمة بتحديد فكرها وحياتها .. كانت حياته .. وكان فكره " دليل عمل " لصحوتنا الإسلامية المعاصرة .. شريطة أن نحسن الفقه لهذا الفكر وهذه الحياة .. والإسهام في تحقيق هذا المقصد النبيل يصدر هذا الكتاب :

د. محمد عواد

مكتبة الإمام البخاري

للتنوير والتوجيه

صدر : ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦ م - شارع الجزيرة .. الرياض .. بدار النشر

٠٦٤ ٣٣٤٣٧٤٣ - جوال ٠٩٢٣٦٧٦٧٩٧

